وضع يهود اسرائيل بشكل يشابه وضع يهود اوروبا في الحرب العالمية . كان القليل منهم على علم بمدى قوة الجيش الاسرائيلي ومقدرته ليس فقط على الدفاع عن اسرائيل وانما على احتلال اراضي الدول المجاورة . وكان يصعب علينا حينذاك كثيرا ان نحاول طرح الموضوع على حقيقته ، وكانت تهمة النازية سهلة الاستعمال .

فيما يتعلق بأوروبا الشرقية ، فالمسألة مختلفة لاسباب عدة منها استمرار المشاعر اللاسامية في الاوساط الشعبية رغم ما يقوله الحكام الشيوعيون هناك عن تلاشيها . وقد ظهر ذلك خاصة اثناء الاحتلال النازي للاراضي السوفياتية ( ١٩٤١ — ١٩٤٥ ) ، حيث حاول النازيون بعث اللاسامية باستعمال الشعارات القديمة التي كانت تظهر الثوريين والشيوعيين بالذات يهودا مقنعين . وقد أدى ذلك فيما بعد الى محاولة الحكام الشيوعيين ابعاد هذه الصورة عن اذهان الشعب ، فعارضوا اظهار اليهود كمجموعة اضطهدت بشكل خاص خلال الحرب وعملوا على الحد من نسب اليهود بين المثقفين وخاصة في اوساط الحكم ، وجر ذلك الى التمييز على حساب اليهود . ويجب ان نشير ايضا الى طبع ستالين نفسه الذي دفعه الى شيء من اللاسامية . ولكن الصهيونية لعبت دورا رئيسيا في احياء اللاسامية ، لان ازدواج الولاء الذي تتضمنه كان لا بد ان يؤدي الى تأزم أوضاع اليهود ، وخاصة في بلد يشدد على ضرورة الولاء لايديولوجية الدولة . فأحد الاحداث التي اثارت لاسامية ستالين كان الاستقبال الحافل الذي لقيته جولدا مئير ( وهي من أصل روسي ) من قبل يهود سوفيات حين وصولها الى موسكو كأول سفيرة لاسرائيل في اواخر ١٩٤٨ . من جهة أخرى ، أدت سياسة القوميات في الاتحاد السوفياتي التي كانت جيدة مبدئيا ، في موضوع اليهود الى عكس ما رمت اليه ، وهو منع اندماج اليهود بخلق قومية يهودية — وذلك يتعارض مع تعريف ستالين نفسه للقومية عام ١٩١٣ — مع ان غالبية اليهود السوفيات كانوا في ظروف طبيعية قابلين للاندماج في القوميات التي يتبنون ثقافتها ( روسيا ، اوكرانيا الخ.. ) . فالاحصائيات الاخيرة تظهر ان ٢٠ بالمئة فقط من اليهود السوفيات يتكلمون اليديش التي تعتبر لغة القومية اليهودية . هذا الوضع الشاذ دفع بعض اليهود الى النظر نحو اسرائيل كبلد مثالي نوعا ما مثل ما ينظر الامريكيون السود الى افريقيا . ذكرت في كتابي « اسرائيل والرفض العربي » حادثة رواها الصهيوني الفرنسي ايلي فيزل ، ففي زيارة له للاتحاد السوفياتي ، طلب منه بعض اليهود المسنين بلهفة ان يقدم لهم شيئا ما من اسرائيل ، فأخرج لهم احدى صحف اسرائيل ، فما كان منهم بعد ان رأوا العناوين التي تشبه عناوين اية صحيفة في العالم الا وصدوه متهمين اياه بأعمالة للبوليس السياسي السوفياتي الذي يختلق صحفا عبرية لاظهار اسرائيل بصورة بشعة . وهكذا اندفع بعض اليهود السوفيات الى احضان الصهيونية او على الاقل هم ينظرون بعطف الى اسرائيل . كل هذا بالطبع أثار حفيظة السلطات السوفياتية ، وأدى الى الاحداث التي نعرفها اليوم . ( الوضع في بولونيا يختلف قليلا حيث أن اللاسامية استعملت كأداة في صراع بين عدة قوى على السلطة ) .

وفي الختام أود الاشارة الى نقطة يخطىء العرب مرارا في موضوعها : الا وهي استعمال نعت الصهيونية . فهناك في اوروبا يهود تتفاوت آراؤهم ومواقفهم السياسية ولكنهم في غالب الاحيان متعلقون باستمرار وجود اسرائيل . ويجنح العرب حينذاك الى نعتهم بالصهيونية ، وهنا لا بد من التساؤل عن تعريف الصهيوني . فاذا عنى ذلك الاعتراف بوجود اسرائيل ( التي هي بلا شك ثمرة الايديولوجية الصهيونية) فلقب الصهيونية يشمل اذا بودغورني وديغول وربما بعض القادة العرب . ونحن بالطبع نستطيع ان نعطي التعاريف التي نشاء ، ولكن يجب ألا نغلق أعيننا أمام الواقع . فهناك في هذه المواقف فروق كبيرة ، وتجاه اسرائيل أو الشعب الاسرائيلي اختلاف كبير في الآراء ضمن هذا